

المصطلح اللساني المترجم وإشكاليات التلقي

أ. أسماء شوافة

جامعة عنابة

المقدمة :

من المتعارف عليه حاليا أنّ اللسانيات هي الدراسة العلمية الموضوعية للغة بعدما كانت دراستها تاريخية تطويرية لا تمتّ للعلمية بصلة. ويعدّ "دو سوسير" أول من غيّر هذه النظرة، خاصّة بعد ظهور كتابه الشهير "محاضرات في اللسانيات العامة" عام 1916م، الذي يعدّ ميلادا للسانيات الحديثة؛ فقد دعا فيه إلى دراسة اللغة دراسة وصفية أي دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها.

وقد تهافت المترجمون من كافة أرجاء العالم على ترجمة هذا الكتاب، إلا أنّ ترجمات العرب كانت متأخرة بكثير عن نظيراتها في الغرب والشرق، ممّا أدّى إلى نوع من التسارع والكثرة في نقل هذا العلم الغربي الجديد إلى اللغة العربية رغبة منهم في اللحاق بالغرب؛ هذا ما أدّى إلى ظهور فوضى في المصطلح اللساني الذي أصبح عقبة من عقبات تلقّي اللسانيات عند العرب. وأوضح مثال لهذه الفوضى عنوان هذا العلم نفسه (اللسانيات)، فقد بلغت المصطلحات المعربة والمترجمة ما يفوق العشرين، منها: علم اللغة، وعلم اللسان، واللغويات، وعلم اللغة العام، والألسنية، واللسانيات، والدراسات اللغوية الحديثة وغيره¹.

فالذي يطلع على الكتب اللسانية المترجمة أو حتّى الموضوعة بالعربية يختار في فهم هذه المصطلحات، ويبقى في بحث دائم عمّا يعنيه هذا المصطلح دون الآخر، فإذا به يجدها جميعا تتحدّث عن المفهوم نفسه، وهذا ما سيعطل من دون شك فهمه لهذا العلم فهما صحيحا.

وقد أدّى هذا التسارع في الترجمات ونقل هذا العلم إلى وجود كمّ مصطلحيّ هائل نتج عنه صعوبة في تلقّي اللسانيات بطريقة صحيحة، إذ أصبح الباحث تائها في فهم هذه المصطلحات؛ فبدلا من أن يفهم العلم وما يعنيه، يبقى لاهثا وراء معاني تلك المصطلحات الكثيرة والمختلفة، والغامضة في كثير من الأحيان.

مفهوم المصطلح :

لم يرد في كتب اللغويين القدامى إلا تعريف واحد للمصطلح، هو الذي ساقه الشريف الجرجاني بقوله: "هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضوعه الأول وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما. وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر، لبيان المراد، وقيل الاصطلاح لفظ معيّن بين قوم معيّنين"². يفهم من كلام الجرجاني أنّ المصطلح اتفاق جماعة من الناس على تسمية الشيء باسم ما حتّى يوضّحوا الغاية منه، وهذه التسمية تختلف باختلاف الأشخاص الواضعين لها؛ إذ قد تتفق جماعة أخرى من الناس على تسمية الشيء نفسه باسم مختلف. كما يمكن أن يستشف من كلام الجاحظ أنّ الاصطلاح هو اتفاق جماعة على تسمية ما؛ في قوله عن المتكلّمين أنّهم "تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطّلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم"³. وقد عرّفه فيلبر (Filber) بقوله: "إنّه عبارة عن بناء عقلي - فكري - مشتقّ من شيء معيّن موجود في العالم الخارجي أو الداخلي، وأضاف: ولكي نبليغ هذا البناء العقلي (المفهوم) في اتصالاتنا يتمّ تعيين رمز له ليبدّل عليه"⁴، وعلى هذا وجب أن يكون الرّمز مطابقا للمفهوم وموافقا له " فلا شذوذ إذا اعتبرنا الجهاز المصطلحي لكلّ علم صورة مطابقة لبنية قياساته، متى فسد فسدت صورته واختلت بنيته فتداعى مضمونه بارتكاس

مقولاته⁵. ويتفق فيلبر مع الجرجاني في أن الاصطلاح له علاقة بشيء معين، وجب وضع رمز له حتى يتم توضيح المراد. أما عبد القادر الفاسي الفهري فعرفه بقوله: "المصطلح لغة خاصة (...) ومعجم قطاعي يسهم في تشييد بنائه ورواجه أهل الاختصاص في قطاع معرفي معين، ولذلك استغرق فهمه واستعماله على من ليس له دراية بالعلم الذي هو أداة لإبلاغه"⁶. ويزيد الفاسي الفهري من توضيح مفهوم المصطلح فهو يعتبره أداة تعبر عن معرفة معينة خاصة يصعب على من ليس من أهل الاختصاص فهمها فهو لغة خاصة وضعها أهل الاختصاص في مجال معرفي ما. كما ورد مفهوم المصطلح في معجم مفاهيم التعليمية على أنه: "عبارة عن كلمة أو مجموعة من الكلمات تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية وتسميتها في إطار معين، تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما في لحظة معينة، والمصطلح بهذا المعنى هو الذي يستطيع الإمساك بالعناصر الموحدة للمفهوم والتمكّن من انتظامها في قالب لفظي"⁷. وهذا المفهوم أيضا يتفق مع مفهوم الجرجاني للمصطلح في كونه إخراج اللفظ أو الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر مناسبة بينهما أو لبيان المراد.

مما تقدّم نلاحظ أن جميع التعريفات تتفق على أن المصطلح اتفاق جماعة من الناس على تسمية شيء ما، وقد أضاف الفاسي الفهري - كما سبق الذكر - أن هذه الجماعة تشترك في تخصص ما، وأن لكل علم مصطلحاته التي تقوم بدور التعريف بمضمونه.

المصطلح اللساني :

ورد في معجم مفاهيم التعليمية أن المصطلح هو: "اتفاق جماعة على أمر مخصوص، وهذا الاتفاق (...) إنما هو وليد موقف معين بين الجماعة المتحدثة، فإن كانوا يتحدثون في مسائل في الفقه نتج عن ذلك مصطلح في الفقه"⁸. فالمصطلحات التحوية مثلا، كالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر ترتبط بالمسائل النحوية، ومصطلحات كالميزان الصّرفي والمجرّد والمزيد هي مصطلحات صرفية. كذلك، فمصطلحات مثل اللسان والكلام واللغة والنظام والبنية هي مصطلحات لسانية. فالمصطلح اللساني إذن هو جميع المصطلحات التي تعبر عن هذا العلم اللسانيات.

المصطلح اللساني المترجم :

المقصود به المصطلح الذي "دخل إلى الدّرس اللساني العربي عن طريق الترجمة باعتبارها نقلا للمفاهيم المستجدة على ساحة اللسانيات خلال القرن العشرين"⁹. ولنأخذ على سبيل المثال لا الحصر مصطلح البنية المترجم عن الكلمة الأجنبية Structure، ومصطلح الزمانية المترجم عن كلمة Synchronique، ومصطلح اللسان المترجم عن كلمة Langage، إلى غيرها من الأمثلة، فليس المقصود بالمصطلح الذي دخل من طريق الترجمة المصطلح المعرّب أو الدّخيل؛ فالمعرّب هو الذي ينقل إلى العربية بلفظه الأجنبي ويخضع للوزن العربي، يقول المسدي: "التعريب مصطلح نوعي يقترن بمعالجة اللسان العربي للألفاظ التي يستقبلها من الألسنة الأخرى مستوعبا إيّاها دالّا ومدلولا"¹⁰. فاللغة العربية إذن تعالج الألفاظ الأجنبية بصياغتها على الوزن العربي، فمثلا كلمة السانكرونية التي نقلت إلى العربية عن Synchronique، أضيف لها "ال" التعريف وباء النسبة وتاء التأنيث، والفونولوجيا المنقولة عن Phonologie، كذلك خضعت للقولة.

أما الدّخيل فهو الذي يدخل إلى العربية على صورته الأجنبية دون أن يجرى له أي تغيير في بنيته الأصلية، نحو مصطلح فون المنقول عن Phone، ومصطلح اللانغويستيك المنقول عن Linguistique، "فالقدمات أسموا الظاهرة العامّة دخيلا وخصّوا قولبة اللفظ الدّخيل بمصطلح التعريب"¹¹. فلا يجب الخلط بين المصطلح المترجم والمصطلح المعرّب والمصطلح الدّخيل، فلكل خصائصه ومميزاته.

مفهوم اللسانيات :

اهتمّ العلماء والباحثون - من مختلف الأمم - بدراسة اللغة منذ زمن بعيد، لذلك يصعب تحديد تاريخ بدايات الاهتمام بها، فقد كانت اللسانيات تعني دراسة اللغة الإنسانية في مختلف جوانبها و مستوياتها فظهرت دراسات مختلفة، منها علم النحو والتركيب، وعلم الأصوات، وعلم الصرف، وعلم الدلالة، وعلم المعاجم... إلخ، إلّا أنّ هذه الدراسات المختلفة والمتنوعة لم ترق إلى مستوى العلمية، بل بقيت متعلّقة بالبحث في أصل اللغات ونشأتها، وتاريخ الأسر اللغوية، والمقارنة بين اللغات -خاصة بعد اكتشاف اللغة السنسكريتية- وهي كلّها قضايا ومباحث لم تؤد إلى تطوّر اللسانيات وجعلها علما قائما بذاته. وقد ظهرت في صورتها الحالية على يد السويسري فرديناند دو سوسير الذي أخرج اللسانيات من المعيارية إلى الوصفية والعلمية؛ ولهذا فقد تغيّر مفهوم اللسانيات في العصر الحديث إلى أنّها : "علم يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا عن التزعة التعليمية والأحكام المعيارية"¹². وتعرّفه حولة طالب الإبراهيمي بأنّه : "الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري أي دراسة تلك الظاهرة العامّة والمشاركة بين بني البشر والجديرة بالاهتمام والدراسة بغض النظر عن كلّ الاعتبارات الأخرى التي لا تعدّ من صلب اهتمام اللسانيين"¹³. نفهم من هذا الكلام أنّ موضوع اللسانيات هو " اللغة البشرية"، وهذا ما يتّضح من كلام شفيقة العلوي : "دراسة اللغة موضوع اللسانيات في ذاتها ولذاها"¹⁴ أي اعتبار اللغة في حدّ ذاتها جوهر الدراسة اللسانية ولّبّها.

اللسانيات والترجمة :

باعتبار اللسانيات علما جديدا وغريبا، فهو لم يصل إلى العالم العربي في الوقت نفسه الذي ظهر فيه في الغرب والشرق، لذا فقد سجّل تأخّر كبير في التعرّف على هذا العلم الجديد، ونتيجة لهذا فقد ظهرت حركة ترجمة للتعريف به، إلّا أنّه لم ينتشر بالقدر الكافي والمطلوب، ولطالما تواجه القارئ العربي صعوبات في سبيل فهمه، ويعود ذلك إلى عدّة أسباب منها :

1. عدم وجود تنسيق بين اللسانيين العرب، هذا ما أدّى إلى عدم اكتمال اللسانيات بوصفها علما مترجما، في مصطلحاته وفي مادّته وفي منهجه. فمن المترجمين من لا يعرف التراث اللغوي العربي، لذلك تأتي مصطلحاته هشة وغير مقبولة¹⁵، كما أنّ " كثيرا من المترجمين ليسوا متخصصين في اللغة العربية فأكثرهم متخصص أساسا في اللغة الإنجليزية أو الفرنسية. ومن هنا فإنّ المشكل يتمثّل في عدم تمرّس بعض هؤلاء المترجمين بالأساليب العربية وهو ما ينشأ عنه استغلاق تلك الترجمات وعجمتها التي تحتاج إلى ترجمة ! "¹⁶ هذا ما أدّى إلى عدم اعتماد أغلب الأعمال المترجمة في اللسانيات العربية فتعدّد المصطلحات واختلافها وعدم توحيدها أدّى إلى : " خلق لغات علمية عربية عديدة بتأثير عدم التنسيق والتوحيد"¹⁷ فلا يجوز نقل فكر أجنبي إلى اللغة العربية دون أن يكون هناك إلمام كبير بها أو دون تنسيق.

2. عدم توحد المترجمين العرب مع بعضهم بعض؛ فكتاب دي سوسير الذي ترجمه العرب ترجمات عديدة بمسمّيات مختلفة يختار القارئ العربي في فهمها والتفريق بينها، فإنّ ترجمته " إلى اللغة الإنجليزية سنة 1959م كان حدثا مهماً وهي لا تزال الترجمة الوحيدة المعتمدة لذلك الكتاب، وهي الترجمة التي عرّفت متكلم الإنجليزية بأفكار دي سوسير وجعلتها نقطة انطلاق لنشاط علمي معروف، خاصة في مجال النقد الأدبي"¹⁸.

3. تعدّد المصطلح اللساني المترجم واختلافه باختلاف المترجمين ممّا أدّى بالقارئ العربي إلى صعوبة فهم هذا العلم، يقول المسديّ: " باختلاف الينابيع التي ينهل منها علماء العرب اليوم بين لاتيني وسكسوني وجرماني وسلافي، وطبيعة الجدّة المتحدّدة التي تكسو المعرفة اللسانية المعاصرة، وتراكب الأدوات التعريفية والمفردات الاصطلاحية ممّا يقتضيه تزاوج مادّة العلم وموضوعه في شيء واحد هو الظاهرة اللغوية، ثمّ طفرة الوضع المفهومي وما ينشأ عنه من توليد مطّرد للمصطلح

الفني بحسب توالي المدارس اللسانية وتكاثر المناهج التي يتوسل بها كل حزب من المنتصرين للنظرية الواحدة أحيانا: كل ذلك قد تضافر فعقد واقع المصطلح اللساني العربي فجعله إلى الاستعصاء و التخالف أقرب منه إلى التسوية و التماثل¹⁹ ويرى مازن الوعر أن " اغتراب القارئ العربي أمام هذه الدراسات هو محصلة للتخبط الاصطلاحي²⁰، ويرى أيضا أن هذا العلم " ما يزال محض العقلية الغربية التي أنتجته ووضعت مبادئه وأصوله، ونحن العرب نتعرف عليه من خلال الترجمة التي لا تخضع للضوابط العلمية ولا تحكمها منهجية علمية أكاديمية، يضاف إلى ذلك أن الترجمات ليست متكاملة ومنسقة فهي لا تعطي تعريفا لهذا العلم ولا لموضوعه، ولا الغاية المرجوة منه²¹، ويوافق "مبارك حنون" "مازن الوعر" في رأيه حيث يقول: "وتبقى الترجمات العربية للكتابات اللسانية الغربية ترجمات ضعيفة في مجملها يخونها المصطلح اللساني المختار، وهو يتعدّد بتعدّد المترجمين والبلدان التي ينتمون إليها. وقد يمتدّ الضعف ليشمل العبارة فيتم التشويش على المعنى... لذا يصحّ القول بأن الترجمة لم تسعف في إرساء اللسانيات في البلدان العربية... وربما يكون ذلك ممّا تسبّب جزئيا في النفور منها"²². يتّضح ممّا سبق ذكره أنّ المشكل الأساس الذي يعيق نقل اللسانيات إلى الوطن العربي، ويصعب على القارئ العربي فهمها هو مشكلة المصطلح اللساني وترجمته، فإمّا أن يكون المشكل في مترجم المصطلح كأن يكون لا يعرف التراث اللغوي العربي، أو يكون غير متخصصّ في اللغة العربية غير عارف بأساليبها، وإمّا أن يكون المشكل في عدم توحيد المصطلحات بين المترجمين وتعدّدها، وإمّا يكمن في الترجمة العشوائية للمصطلح التي لا تخضع للضوابط العلمية.

اللسانيات والمصطلح :

تمثّل النظريات اللسانية الخاصة بعلم المعجم النظري والتطبيقي ونظرية الدلالة المعجمية، أدوات عمل رئيسية بالنسبة لواقع المصطلح اللساني، لذلك وجب عليه أن يكون عارفا بها، حتّى يتمكّن من صناعة المصطلح وضبط مفهومه ضبطا دقيقا، وهذا ما يتجسّد في الدراسات الغربية، ممّا مكّنها من وضع نظريات جادة في العلوم المصطلحية مكّنتها من تطور مجالها العلمي الدقيق. ولكنّ هذه الدقّة العلمية تفنقر إليها الدراسات المصطلحية العربية، إذ أدّى الاتّصال غير السليم بالمدارس والنظريات اللسانية الغربية إلى خلق اضطراب مصطلحي عند الباحثين، ممّا جعل نشأة المصطلحية العربية الحديثة تكون معتلة لا ترتقي إلى مستوى الضبط العلمي الدقيق، فهي تورد مصطلحات متعدّدة للدلالة على مفهوم واحد، أو عكس ذلك تستخدم مفاهيم مختلفة لمصطلح واحد، لذلك فحقّق البحث المصطلحي مازال خصبا ويتطلّب بحوثا علمية جادة تعتمد على النظريات اللسانية الحديثة منهجا علميا دقيقا حتّى تتمكّن من مواكبة علومها وتطوير ذاتها²³.

فعدم اعتماد العرب على هذه النظريات اللسانية أدّى إلى وجود مصطلحات لا تتوفّر على " شروط المصطلح، ممّا خلق مجالات كثيرة للتعارض والتصادم بين هذه المصطلحات ومستخدميها بعضهم مع بعض²⁴. بالإضافة إلى ما ذكر نحد أنّ اللسانيات تعاني - في مجال المصطلح - من " الصراع بين أنصار المصطلح القديم والمصطلح الجديد واختلاط المفاهيم، ونشوء نوع من الاحتكاك بين من يسمّون بالتراثيين، ومن يسمّون بالتجديدين"²⁵. فمسألة وضع المصطلح ومفهومه إذن ليست بالعمل الهين فهي تحتاج إلى معرفة واسعة وشاملة للغة العربية وللنظريات اللسانية الحديثة، يقول أحمد عزوز في كتابه أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية: " ليس من اليسر، كما هو متداول ومتعارف عليه، أن يتفق الدارسون على تعريف دقيق لمصطلح من المصطلحات، أو كلمة من الكلمات، وبخاصة إذا تعلّق الأمر بالمفاهيم الحديثة الظهور والاستعمال"²⁶. فيجب الاختيار الدقيق للمصطلح اللساني حتّى يتمّ فهم المعنى فهما صحيحا.

إشكاليات تلقي اللسانيات الغربية:

لما كانت اللسانيات علماً أجنبياً لم يعرفه العرب إلا من طريق الترجمة، توجب وجود صعوبات وإشكاليات في فهم هذا العلم الجديد عليهم. وفي هذا الصدد يقول مازن الودع: "لا يمكننا - نحن العرب - معرفة هذا العلم الجديد إلا من خلال نافذة اللغات الأجنبية الإنكليزية أو الفرنسية ذلك أنه للحق وللتاريخ، وإنصافاً للعلم والعلماء، لا يمكننا إلا أن نعترف بأن اللسانيات الحديثة هي محض العقلية الغربية التي أنتجتها"²⁷. ومنه، فإن اللسانيات لا ترتبط باللغة العربية ولا بثقافتها، مما يصعب ترجمتها إلى العربية، ويصعب على القارئ فهمها في الوقت نفسه؛ فهي "بحث أوجدته ظروف اللغات الأوروبية التي تختلف في انتماءاتها، وتكوينها، وبيئاتها، وشعوبها المتكلمة بها وتاريخها، عن العربية وظروفها، اختلافاً كبيراً يجعلنا في موقف رافض لكل ما يرد من الباحثين المعاصرين العرب أن يسلكوه، أو يتعاملوا به مع العربية"²⁸. هذا يعني أن القارئ العربي إذا أراد فهم اللسانيات الغربية ومضامينها ومصطلحاتها، توجب عليه أن يطلع عليها في لغاتها الأصلية، وهذا الشرط يصعب تحقيقه عند أغلب القراء العرب، فيكون القارئ بذلك دائم التخوف من دراستها.²⁹

ومن أهم العقبات التي تواجه المتلقي العربي في فهم هذا العلم الغربي إشكالية المصطلح وتعددده؛ -كما أسلفنا الذكر- إذ نجد للمصطلح الغربي الواحد أكثر من ثلاث ترجمات أو أكثر، بالنظر إلى اختلاف المترجمين؛ فكلما اختلف المترجم اختلفت ترجمة المصطلح الغربي الواحد، فيجد القارئ العربي نفسه في صراع دائم مع هذا الكم الهائل من المفردات، وهذا يعرقل فهمه للسانيات فهماً جيداً، ولنضرب مثلاً على هذا بكتاب تشومسكي "New Horizons in the Study of Language and Mind" والذي ترجمه حمزة بن قبلان المزيني بـ: "آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن" الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة سنة 2005، وترجم الكتاب نفسه عدنان حسن بـ: "آفاق جديدة في دراسة اللغة و العقل" الصادر عن دار الحوار سنة 2009. وكل منهما قد استعمل مصطلحات تختلف عن مصطلحات الآخر؛ فقد عنون المزيني وعدنان حسن الفصل الأول بـآفاق جديدة في دراسة اللغة، أما الفصل الثاني فعنونه المزيني بتفسير استخدام اللغة، وعنونه عدنان حسن بتفسير استعمال اللغة، أما بقية الفصول فلمس فيها نوعاً من التباين؛ إذ نجد المزيني قد وسم الفصل الثالث باللغة و التأويل: التأملات الفلسفية والبحث الاختباري، أما عدنان حسن فقد وسمه باللغة والتفسير: التأملات الفلسفية والاستعلام التحريبي، والفصل الرابع وسمه المزيني بالمقاربة العلمية الطبيعية والمقاربة الثنائية في دراسة اللغة والذهن، و وسمه عدنان حسن بالطبيعانية والثنائوية في دراسة اللغة و العقل، بينما الفصل الخامس فوسمه المزيني باللغة موضوعاً طبيعياً، وعدنان حسن وسمه باللغة بوصفها موضوعاً طبيعياً، أما الفصل السادس فقد عنونه المزيني باللغة المنظور الداخلي، وعدنان حسن عنونه باللغة من منظور ذاتي، ويبقى الفصل السابع والأخير الذي عنونه المزيني بالمقاربة الداخلية، وعنونه عدنان حسن باستكشافات ذاتانية. فكيف إذن للقارئ العربي أن يفهم العلم إذ هو لم يدرك مصطلحاته، ذلك أن فهم المصطلح يترتب عنه فهم العلم، يقول المسدي: "مفاتيح العلوم ومصطلحاتها ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما يتميز به كل واحد عمّا سواه. وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية، حتى كأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته ومضامين قدره من يقين المعارف وتحقيق الأقوال"³⁰. فلو أن اللسانيين العرب اطلعوا على كتابات بعضهم بعض، وعلى المصطلحات العربية الموضوعية مقابل المصطلحات الغربية، واعترفوا بها وأقروها في كتاباتهم اللسانية، لما وجدنا هذا الكم الهائل من المصطلحات المختلفة، ولكن "اللسانيين العرب يرغب بعضهم عن متابعة ما يكتبه البعض الآخر ولا سيما باللغة العربية، ويصدق هذا الأمر بتواتر غريب فلا يشدّ عنه إلّا من ندر منهم"³¹. وعليه، فلا بدّ من الاتحاد بين اللسانيين العرب وتوحيد المصطلحات حتى نرتقي إلى مستويات الدرس اللساني الفعلي. فلو أن جهود جماعة من اللسانيين

في ترجمة الكتاب نفسه كانت موزعة على كتب أخرى مختلفة لم يُطرق إليها من قبل، وكانت المكتبة العربية ثرية بكتب اللسانيات، ولكن...، فيا ليت تعدّد المصطلح متوقّف على تعدّد المترجمين أو تعدّد الكتب والمؤلفات، يقول د. محمود السّعران: "وقد اضطرب بعض المؤلفين والمترجمين، فترجم المصطلح الأوروبي بلفظ معيّن مرّة، ثمّ ترجم المصطلح نفسه مرّة أخرى في نفس الكتاب بلفظ آخر"³². ويعطينا أمثلة في هامش الصفحة نفسها، وهي ترجمة الأستاذ علي عبد الواحد وافي في كتابه "علم اللغة" للفظ consonnes بـ "الحروف الساكنة" مرة وبـ "الحروف غير المتحرّكة" مرّة أخرى، وبـ "الأصوات" ليس غير، ونورد نصّ عبد الواحد وافي فيما يلي: "... فالآرامية حوشية الأصوات، صعبة النطق، تلتقي في كلماتها المقاطع المتنافرة والحروف الساكنة والعربية عذبة الأصوات، سهولة النطق خفيفة الوقع على السّمع، تقلّ في كلماتها الحروف غير المتحرّكة..."³³. كما نورد السياق الذي ترجم فيه "وافي" هذا المصطلح بالأصوات ليس غير، قوله: "والأصوات الصامتة consonnes sourdes الواقعة بين صوتي لّين قد تحولت في اللاتينية الحديثة حوالي القرن السادس إلى أصوات مدوية consonnes sonores قريبة منها"³⁴. ومن المترجمين كذلك "من ترجم مصطلحين مختلفين بلفظ واحد"³⁵. وقد زدونا السّعران بأمثلة حتى يتّضح المقال في هامش الصّفحتين (34، 35) وهو "ما صنعه مترجما كتاب "اللغة" لفندريس من ترجمة les morphèmes أحيانا بـ "الأصوات"؛ والأصوات هي الترجمة المعهودة والتي اتّبعتها في نقل: les sons، ومن أمثلة ترجمتها les morphèmes بـ "الأصوات" قولهما في العنوان الفرعي الثاني من الكتاب وهو الخاصّ بالتّحو: "الكلمات والأصوات" والمقابل الفرنسي لهذا هو: Mots et Morphèmes وذلك في ص 86 "³⁶. ويعلّق محمود السّعران، فيقول: "والأصوات هنا كلمة مضلّلة لأنّ المقصود بها في الأصل "المورفيمات" "³⁷. فكيف بالقارئ العربي المبتدئ أو المتخصّص على السّواء أن يلمّ بهذا العلم، إذ هو لم يلم بمصطلحاته ولم يتمكن من مدلولاتها. وبالإضافة إلى إشكالية تعدّد المصطلح، نجد إشكالية أخرى متمثلة في إشكالية ترجمة المصطلح اللساني؛ إذ كثير من الترجمات تضلّل القارئ وتوهّمه بالمفهوم الصحيح، ولكنّها تمثّل ضربا من المغالطة والعدول عن المعنى الأصلي الصحيح، وهو ما أدّى إلى نشر الأخطاء المعرفية في اللسان العربي وضخّه بمفاهيم ومصطلحات خاطئة التصور غير مدركة للصواب، مما زاد الأمور تعقيدا واضطرابا وتفرقة بين الباحثين في مجال الحقل الواحد، فتجد التنوع المصطلحي لمفهوم واحد والمصطلح الواحد لمفاهيم متغيّرة ومتطورة، لم يستطع الباحث اللساني العربي الإمساك بها باعتبار أنّ النظريات اللسانية نفسها متسارعة التطور ومتبدّلة المصطلحات ومبتكرة المتصورات"³⁸. وفي السياق نفسه يتحدّث "محمود السّعران" عن المترجمين الذين يعبّرون "بمصطلح عربي قديم محدّد المعنى على تصور جديد، وربّما استعمله بحيث لا يتبيّن القارئ المقصود من الكلام، وبخاصّة عندما يرد في نصّ واحد المصطلح العربي مرادا به المعنى القديم، ونفس المصطلح مرادا به المعنى الحديث دون أدنى تنبيه من الكاتب"³⁹ وقد أعطى مثلا على ذلك في (هامش الصفحة 37 من كتابه) عن ترجمة كلمة Morphologie بـ "الصرف" أو "النظام الصرفي" و Morphologique بـ "صرفي" (أو "صرفية") ويعلّق "محمود السّعران" على ذلك في نفس هامش الصفحة فيقول: "والتصور الذي يعبر عنه هذا المصطلح تصور لا يطابقه، أو يماثله، أو يقرب منه تصور عربي، وقد لاحظت أنّ ترجمة هذا المصطلح بالمصطلح العربي القديم، مرادا به معنى جديد، تعوق كثير من الطّلاب عن إدراك هذا التصور الذي نسعى إلى إدخاله في دراستنا اللغوية الحديثة"⁴⁰ يفهم من هذا الكلام أنّ القارئ العربي إذا اطلع على هذا العلم بغرض الفهم والغوص في كنهه زاد عجمة وغموضا، والسبب الأكبر في ذلك هو غرابة المصطلحات وتشتتها والتي أصبحت "مشكلا قائم الذات عوضا عن أن تكون مساعدا يقربنا من هذا العلم الدّخيل علينا"⁴¹، فلو عولجت قضية تعدّد المصطلح وغموضه إن لم نقل شذوذه لتلاشت الكثير من العقبات واضمحلت، ومن

العقبات أيضا نجد إشكالية التعريب، والتي يراها "حافظ علوي" قضية متشعبة ألقت بعبئها الثقيل على الثقافة العربية، وبالرغم من قدم تشكلها فإنه لا يوجد إجماعا حول دواعي التعريب ودوافعه⁴². ويوافق "مازن الوعر" "علوي" في رأيه إذ يرى أن: "المشكلة اللسانية في الوطن العربي هي مشكلة تعريب علم اللسانيات كعلم قائم برأسه له أسسه ومناهجه التي يمكن أن تشرح وتنقل من الإنكليزية والفرنسية إلى العربية"⁴³ كما أن طبيعة مادة اللسانيات - العلمية - جعلت القارئ العربي متخوفا من دراستها مما أدى إلى صعوبة تلقي اللسانيات⁴⁴ وعلى هذا فاللسانيات تحتاج إلى التبسيط والترغيب لا التعقيد والترهيب، وقد أرجع مصطفى غلفان غموض اللسانيات إلى حداثة الفكر اللساني في الثقافة العربية تأليفا و ترجمة إلّا أنه لم يجد تبريرا لاستمرار اللسانيين في تداول نفس التسميات والتقسيمات والإبقاء على كثير من مظاهر الغموض والالتباس⁴⁵ فمشكل اللسانيات وصعوبة فهمها في الوطن العربي ليس متعلقا بمحدثاتها وغريبة لغتها فقط بل متعلق أيضا بالتعصب الفكري للسانيين العرب، والذي يجب حله أولا ثم الانتقال إلى المشاكل الأخرى والتي يمكن أن تزول بزوال مشكل التعصب اللساني المصطلحي العربي.

الحلول المقترحة لحل مشكلة المصطلح وصعوبة فهم اللسانيات:

للحدّ من مشكلة المصطلح، وسوء فهم اللسانيات اقترح بعض اللسانيين جملة حلول، فإن تمّ الاعتماد عليها وتطبيقها تكون النتيجة مرضية، وتسهم في الإنقاذ من حجم المشكلة التي تواجه القارئ العربي في فهم هذا العلم، فلا يمكن حلّ مشكلة المصطلح إلّا بتضافر جهود اللسانيين في الوطن العربي قاطبة، وذلك بوضع منهجية موحدة خاصة بكيفية كتابة المصطلح اللساني حتّى لا تختلط المصطلحات والمفاهيم على القارئ العربي، كأن يكتب المصطلح اللساني الأجنبي بجانب المترجم، وأن يبتعد عن المصطلحات التراثية وغيرها. وقد ورد في مقدّمة كتاب محمود السّعران "علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي" ما يلي: "و كان أول ما راعيته... إثبات المصطلح الإنجليزي بحرفه، وانتقاء اللفظ العربي المقابل له بحيث لا يقع في الخطأ أو الاختلاط؛ فنأيت عن اختيار المصطلح اللغوي العربي القديم ترجمة لبعض المصطلح الإنجليزي - كما صنع جماعة - وآثرت حيث لا أحد المقابل العربي الملائم، أن أستعمل المصطلح الأوروبي، وذلك كي لا يختلط التصور العربي القديم بالتصور الأوروبي الحديث وكى يفسح المجال ويسلم أمام الباحث العربي حيث يؤرّخ الدراسات اللغوية العربية ويقومها على أساس من الفهم الحديث، فيصطلح المصطلح العربي. بمعناه إلى جوار المصطلح الجديد المنقول. بمرماه جنبا إلى جنب دون إيقاع في البلبلة، ودون إيهامه بغير المراد"⁴⁶. ومن هذا يُفهم أن محمود السّعران يوجّه اهتمامه نحو القارئ العربي لا غير فهمه الوحيد هو أن يستوعب القارئ المصطلحات اللسانية كما هي عليه في الأصل، فيتأتّى من ذلك فهمه لللسانيات فهما صحيحا لا يشوبه أيّ نقص، ولئن راعى السّعران القارئ في كتابه وأولى اهتماما به " فإنّ الملاحظ أنّ مؤلّفات كثيرة أخرى لم تهتد إلى تحديد صائب ودقيق لقارئها حتّى وإن كانت مؤلّفات تمهيدية تبسيطية"⁴⁷ لذا يجب فقط الاهتمام بالإجابة عن سؤال واحد هو كيف يتأتّى للقارئ العربي الإحاطة باللسانيات ؟ - والتي لا يمكن فهمها إلّا بإدراك مصطلحاتها - لا الاهتمام بالسّبق والريادة في وضع مصطلحات جديدة لم يطرقها أحد، فمشكل المصطلح " لا يمكن حله إلّا في إطار معرفي شمولي ومتكامل"⁴⁸. يمكن من إزالة الغموض والالتباس. وقد اقترح الدكتور "هادي نمر" منهجية تمكّن من حلّ إشكالية التعريب ووضع المصطلحات، وهي أن يفضّل استعمال اللفظ العربي على الأجنبي متى كان ذلك ممكنا، وتفضيل اللفظ العربي الأصل على المولّد والمولّد على الحديث إلّا إذا اشتهر الدّخيل، وإحياء المصطلحات العربية القديمة إذا كانت قادرة على حمل المفهوم وتجنّب النّحت متى أمكن ذلك وتجنّب التعريب إلّا إذا كان شائعا بدرجة كبيرة يصعب معها تغييره، أو إذا كان مشتقا من أسماء الأعلام... وكذا كتابة أسماء الأعلام باللغة الأجنبية⁴⁹.

كما أنه لا يمكن لأي مترجم عارف باللغات الأجنبية غير متخصص في مجال الدراسات اللسانية أن يترجم المصطلحات اللسانية ترجمة دقيقة، " فالعمل الترجمي الدقيق يتطلب التخصص حتى يستطيع المترجم أن يسيطر على المفهوم ويمتلك ناصيته ويحسن استغلاله في إعادة إنتاج مصطلحات ملائمة ومتطابقة مع المفهوم الذي أسند إليها في الخطاب الأصلي⁵⁰. وعلى هذا فعلى كل مترجم أن يعمل في مجال تخصصه حتى يستطيع التعبير بالمصطلحات اللسانية الدقيقة والمتخصصة، " فإذا كانت الترجمة مخطئة، كان توفير المصطلح الضروري أيضا مخطئا⁵¹. فعملية الترجمة صعبة تحتاج إلى وعي وجهد وتنظيم.

ويضيف مازن الوعر، اقتراحات هادفة وذلك بقوله: " إننا نحتاج إلى نوعين اثنين من المعاجم اللسانية الأولى: معاجم لسانية عربية أجنبية (إنجليزية - فرنسية)، أي تضع الكلمة اللسانية الأجنبية ومقابلتها العربية. والثاني: معاجم لسانية عربية - عربية، أي تضع المصطلح اللساني العربي وتشرح ماذا يعني وعلام يدل. وهذا النوع من المعاجم مهم جدا لتشق اللسانيات طريقها في الثقافة العربية⁵². فإذا تعرّف القارئ العربي على المصطلح الأجنبي ومقابلته العربي، ومدلوله الصحيح الدقيق، تمكن من فهم العلم دون عوائق، كما يقترح أن تُدرس مادة النظرية العامة لعلم المصطلحات، ومبادئ وضع المصطلحات العلمية والتقنية في اللغة العربية في جميع الأقسام، والإسراع في إنشاء بنك المصطلحات المركزي في الوطن العربي وذلك للإسراع في عملية تنسيق المصطلحات وتوحيدها في الوطن العربي وإقامة دوريات للعاملين في حقل المصطلحات وللذين يستخدمون المصطلحات في نشاطهم الفكري، وتشجيع البحوث في النظرية العامة لعلم المصطلحات والنظريات الخاصة للمصطلحات، وقيام الجامعات العربية بالتعاون مع مكتب تنسيق التعريب في المغرب العربي بالرباط ودعمه بالخبرات والمشاركة في الندوات والمؤتمرات التي ينظمها من أجل وحدة الوطن العربي لغويا وعلميا.⁵³

غير أن الاعتماد على الترجمة وحدها في فهم اللسانيات غير كاف لأن كل لغة لها خصائصها ومميزاتها التي تميزها عن باقي اللغات، وكل لغة كذلك متأثرة بثقافة أممتها، فلفهم اللسانيات فهما دقيقا " لا بدّ من التأليف الذي يكتب بألفاظ "أحادية"، أي ألفاظ اللغة الواحدة التي نلغو بها، ونقل المعارف أو نمارسها من داخل اللغة، وإن كانت هذه اللغة تتوسع كل مرة لتولد مضامين جديدة، وألفاظا جديدة، دخيلة في غالب الأحيان على الثقافة السائدة، فالتأليف يهضم المواد المترجمة باستمرار، ولكنه يمكن من استعمال عبارات طبيعية، وتركيب طبيعي، ودلالة طبيعية، بل وصور ومجازات طبيعية في اللغة التي يؤلف بها. المعرفة لا توطّن بالمتعدد بل بالأحادي، ولكن الأحادي ليس ساكنا، بل هو متجدد باستمرار، تجدد راجع إلى الأجنبي بالأساس، ولكن أيضا إلى جهاد مع النفس، حتى لا تنطوي⁵⁴. ومن هذا نفهم أن مهمة اللساني مهمة جادة تتطلب العمل الواعي والجهود البين، فعليه أولا قبل أن يؤلف بلغته العربية أن يقرأ ويفهم ويهضم كل ما استجد في اللسانيات الغربية ثم بعد ذلك يتجه إلى التأليف وذلك لتقديم مادة علمية لا تحتاج إلى دراسة أخرى تساعد على فهمها أو شرح مصطلحاتها.

الخاتمة :

مما تقدّم نستنتج أن جودة المصطلح اللساني وحسن اختياره يسهمان في جودة الترجمة وفهم اللسانيات، لذا وجب مراعاة الضوابط التي تحكم عملية وضع المصطلحات اللسانية وعملية الترجمة حتى نحصل على محتوى لساني دقيق يعبر بصدق عن المصطلح الذي وضع له. كما أنه على المترجم أن يراعي في عمله نوعية القارئ وأن يضع نصب عينيه الإجابة على التساؤلات التالية: لمن أترجم؟ وماذا أكتب؟ وهل سيتأتى من هذا العمل إدراك اللسانيات وفهمها فهما صحيحا، أم

العكس؟ وعلى اللسانيين العرب أن يوّحدوا جهودهم ويستغلّوها فيكونوا يدا واحدة، غير مهتمين بما أنجز كل فرد، بل بما قدّموه وما أحرز نجاحا لتتمكّن من اللحاق بالركب الحضاري.

الهوامش والإحالات :

- 1- ينظر عبد السلام المسديّ : قاموس اللسانيات عربي - فرنسي، فرنسي - عربي، مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص 56.
- 2- الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1998م، ص: 44.
- 3- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (150-255) : البيان والتبيين، تحقيق : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1، ص: 139.
- 4- علي توفيق الحمد : المصطلح شروطه و توحيده، جامعة اليرموك، اربد، لأردن، مجلّة جامعة الخليل للبحوث، المجلد2، ع1، 2005م، ص: 2.
- 5- عبد السلام المسديّ : مرجع سابق، ص 11.
- 6- عبد القادر الفاسي الفهري : اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، الدار البيضاء المغرب، ط 1985م، ص : 396.
- 7- بشير إبرير وآخرون : مفاهيم التعليمية بين التراث والدراسات اللسانية الحديثة، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، عنابة، 2009، ص 190.
- 8- المرجع نفسه : ص : 189.
- 9- يوسف مقران : المصطلح اللساني المترجم: مدخل نظري إلى المصطلحيات، دار رسلان، دمشق، 2009، ص : 151.
- 10- عبد السلام المسديّ : مرجع سابق، ص : 28.
- 11- المرجع نفسه، ص : 28.
- 12- أحمد قدّور : اللسانيات والمصطلح ، مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد81، ج4، ص: 3.
- 13- خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، ط2، 2000. 2006، ص: 9.
- 14- شفيقة العلوي : محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص: 9.
- 15- ينظر : المرجع نفسه : ص : 116 - 117.
- 16- حافيظ إسماعيلي علوي و وليد أحمد العناتي : أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الاختلاف، 1430-2009، ط1، الرباط، ص: 6.
- 17- محمد مجيد السعيد : دور مؤسّسات التعليم العالي في توحيد المصطلح وإشاعته، مجلّة اللسان العربي، ع29، 1989 م، ص 148.
- 18- حافيظ إسماعيلي علوي : مرجع سابق، ص 61.
- 19- عبد السلام المسديّ: مرجع سابق، ص: 55.
- 20- حافيظ إسماعيلي علوي: مرجع سابق، ص 115.
- 21- المرجع نفسه، ص 116.
- 22- المرجع نفسه : ص 151.
- 23- ينظر: خليفة الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ط1، الاختلاف، 1434هـ — 2013م، الجزائر، ص 31.

- 24- أحمد مختار عمر : المصطلح الألسني العربي وضبط المنهجية، مجلة عالم الفكر، م20، ع3، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، 1989 م، ص : 5.
- 25- المرجع نفسه : ص : 5.
- 26- أحمد عزوز: أصول تراثية في نظرية الحقوق الدلالية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002 م، ص: 10.
- 27- مازن الوعر : قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس، ط1، 1988، ص 21.
- 28- عبد الرحمن العبيدي : الألسنية المعاصرة والعربية، الذخائر، ع1، شتاء 1420هـ - 2000م، ص 31.
- 29- المرجع نفسه : ص : 116.
- 30- عبد السلام المسدي : قاموس اللسانيات، مرجع سابق، ص 11.
- 31- عبد السلام المسدي : مراجع اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1989، ص 18.
- 32- محمود السّعران : علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ص 34.
- 33- المرجع نفسه، هامش الصفحة 34.
- 34- المرجع نفسه، هامش الصفحة 34.
- 35- المرجع نفسه : ص : 34.
- 36- المرجع نفسه، هامش الصفحة 34، 35.
- 37- المرجع نفسه : هامش الصفحة 34، 35.
- 38- خليفة الميساوي : المصطلح اللساني و تأسيس المفهوم، مرجع سابق، ص 27، 28.
- 39- محمود السّعران : مرجع سابق، ص : 36، 37.
- 40- المرجع نفسه، هامش الصفحة 37.
- 41- محمد رشاد الحمزاوي : مشاكل وضع المصطلحات اللغوية أو تقنيات الترجمة، مجلة اللسان العربي، م 18، ج1، ص: 75.
- 42- ينظر : حافيز إسماعيلي علوي، مرجع سابق، ص 109.
- 43- حافيز إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، مرجع سابق، ص : 116.
- 44- المرجع نفسه : ص : 116.
- 45- ينظر مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم4، ص:109.
- 46- محمود السّعران : مرجع سابق، ص : 07.
- 47- حافيز إسماعيلي علوي : اللسانيات في الثقافة العربية...، مرجع سابق، ص : 16.
- 48- حافيز إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، مرجع سابق، ص : 263.
- 49- ينظر المرجع نفسه: ص: 304.
- 50- خليفة الميساوي : مرجع سابق، ص : 88.
- 51- حافيز إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، مرجع سابق، ص : 81.
- 52- المرجع نفسه: ص: 119.
- 53- المرجع نفسه: ص: 134، 135.
- 54- المرجع نفسه: ص: 103، 104.